نظرة الأمريكيين للتاريخ الجزائري

أبو القاسم سعد الله

في المدة الأخيرة صدر كتاب بعنوان (خلال العيون الأجنبية : وجهات النظر الغربية نحو افريقيا الشمالية)[1]. وقد تعاون على اخراجه بعض المؤرخين الأمريكيين المختصين في تاريخ المغرب العربي. وبعد المقدمة التي كتبها له آلف أندرو هيقوي Alf A. Heggoy اختص كل باحث بموضوع معين. فعالجت السيدة أوري ميلر Aurie H. Miller الجزائر في نظر ويليام شيلرمستندة في ذلك على مراسلاته الكثيرة الرسمية وغير الرسمية، بالإضافة الى كتابه المعروف (ملخص تاريخ الجزائر) واحتل السيد جيمس كوك James J. Cook بدراسة عن المغرب العربي في نظر الفرنسيين من 1880 إلى 1929. أما الدراسة الأخيرة فكانت للسيد بول زينق Paul J. Zingg عن وجهة النظر الأمريكية نحو افريقية الشمالية.

وقد لخص السيد هيقوي الذي أشرف على موضوعات الكتاب، وجهة النظر العربية نحو أهل افريقية الشمالية في عبارات قصيرة مركزة، وهي القسوة والأفكار المسبقة وسوء التفاهم والتعالي الثقافي. والدوافع الى ذلك في نظره لا تكاد تخرج عن لجوء الكتّاب الى أسلوب المبالغة والإثارة لبيع كتبهم وترويجها بين الناس، ولجوء القساوسة الذين كانوا يعملون على افتداء الأسرى المسيحيين بجلب عواطف

جمهورهم للتبرع والبذل في سبيل أهداف دينية ومادية. والسيد هيقوي متمرس على هذا الأجراء وخبير في شؤون الجزائر والمغرب. فهو من مواليد الجزائر لابوين نرويجيين كانا يعملان في ميدان التبشير في بلادنا، ولذلك فهو خبير بطبائع العرب والفرنسيين معا، يعرف لغتيهم وصراعهم الثقافي والسياسي والاقتصادي. ومنذ الستينات استقر هيقوي ودرّس في أمريكا، واختص بتاريخ الجزائر فألّف فيه عدة مؤلفات، كما درّسه في الجامعات[2] قبل أن يحصل على الجنسية الأمريكية.

أما زميله بول زينق فقد جعل عنوان بحثه «الرمال والجمال. والولايات المتحدة الأمريكية: النظرة الأمريكية لشمال افريقية» مستعيرا جزءا من عنوانه من مقولة قالها له صديق أمريكي عندما عرف منه أنه يشتغل بتاريخ افريقية الشمالية، فقد تعجب منه ذلك الصديق قائلا: «كيف يتسنى للمرء أن يستلذ البحث عن الرمال والجمال؟» معبرا بذلك عن العقيدة الشائعة لدى الأمريكيين من أن كل ما يعرفه الانسان الأمريكي العادي عن شمال افريقية هو ما تقدمه له الأفلام والروايات المثيرة.

ولكن العرض التاريخي الذي قدمه السيد زينق عن النظرة الأمريكية لأهل افريقية الشمالية لم يبدأه بعصر الأفلام، بل انه رجع فيه الى السنوات الأولى من ميلاد الجمهورية الأمريكية أيام كانت دول المغرب العربي تمثل صورة الأسد الإسلامي بالنسبة للأوروبيين والأمريكيين على السواء. وإذا كان استعراض السيد زينق يشمل كل بلدان المغرب العربي، فإن حظ الجزائر فيه ضعيف لان الاحتلال الفرنسي الطويل المدة قد قطع حبل العلاقات بين الجزائر وأمريكا منذ 1830، ومن ثمة ارتكزت السياسة الأمريكية في المغرب العربي على المغرب الأقصى بالذات، إلى أن رجعت هذه العلاقة بعد استقلال دول المنطقة. والخلاصة التي انتهى اليها السيد زينق أن النظرة الأمريكية نحو بلدان المغرب العربي كانت تتحكم فيها عدة عناصر: الجهل بتاريخ وثقافة المغرب العربي والتعالي الحضاري والعسكري، والتأثر بالنظرة الأوروبية التقليدية نحو الحضارة الإسلامية وأهلها بما في ذلك فكرة القرصنة. ثم التمسك بمبدأ عدم التدخل بين فرنسا والقوى الوطنية، ولكن ومنذ الحرب العالمية الثانية دخل عنصر جديد في الصورة وهو الخوف من سلطان الشيوعية.

ومن الواضح أن عمل السيد زينق يدخل فيما نسميه نحن اليوم إعادة كتابة التاريخ. ومن ثم يظهر أن هذا المصطلح ليس خاصا بنا وبتاريخنا، بل ان الدول الأخرى أيضا، بما فيها فرنسا وأمريكا، تحاول أن تعيد كتابة تاريخ علاقاتها مع الجزائر، ليس فقط باستعمال وثائق جديدة، ولكن باعطائها تفسيرا جديدا يتناسب مع التوجه الجديد لمصالح جميع الأطراف، ورفْضِ أغلب ما كتب سابقا في الموضوع على أنه لا يمثل الحقيقة أو حتى نصف الحقيقة أحيانا.

* * *

إن نظرة سريعة الى تاريخ العلاقات الجزائرية الأمريكية يجعلنا نقسمها الى هذه المراحل: المرحلة الأولى من 1776 إلى 1830 أو من استقلال أمريكا الى احتلال الجزائر. والمرحلة الثانية من التاريخ الأخير الى 1842. والمرحلة الثالثة من هذا التاريخ الى استقلال الجزائر، والمرحلة الأخيرة منذ 1962. ولنقل كلمة عن كل مرحلة قبل أن نستنتج التفسير التاريخي الذي انتهت اليه.

لقد بدأت المرحلة الأولى بتفوق الجزائر وانتهت بتفوق أمريكا، وذلك يظهر في الشروط التي أملتها الجزائر على أمريكا عندما كانت هذه في أول طريق الاستقلال، ضعيفة الأسطول، معزولة عن العالم القديم، تعاني من القهر الانكليزي والغيرة الأوروبية بما في ذلك صديقتها فرنسا. وقد انتهت هذه المرحلة، كما ذكرنا، بفرض معاهدة 1815 (التي لم يصادق عليها الكونغرس الا سنة 1822) بالقوة البحرية الأمريكية. ولذلك فان هذه المرحلة قد انتجت مؤلفات عديدة من الجانب الأمريكي (وللأسف لم نعرف أن الجزائريين ألفوا شيئا في الموضوع لا عن تفوقهم ولا عن ضعفهم). ودخلت الجزائر الأدبيات الأمريكية بشكل قوي. فبالإضافة الى المراسلات الرسمية، وجدنا المؤلفات التي كتبها الأسرى الأمركيون الذين وقعوا في قبضة الجزائريين ؛ ومن بين هذه المؤلفات أعمال «تاريخية» تصف تاريخ الجزائر وحكومتها واقتصادها وثقافتها وعلاقاتها، ومعظمها كانت غير منصفة، كما لاحظ السيد هيقوي، لان الهدف منها الإثارة الدينية والوطنية والاستعطاف للفداء

والانتقام[3]، وإلى جانب ذلك انتجت هذه الفترة أدبا أمريكيا عن الجزائر في شكل مسرحيات وروايات كان موضوعها الاساءة الى سمعة الجزائر، ومن أشهر ذلك : رواية **(الجاسوس الجزائري في بنسلفانيا)** لبيتر ماركو و **(الأسير الجزائري)** للدكتور أندرهيل[4].

ولا شك أن خاتمة هذه المرحلة يمثلها كتاب وليام شيلر: مختصر تاريخ الجزائر الذي نشره سنة 1826. والغريب أن هذا التاريخ (1826) يذكرنا نحن المسلمين بسحق السلطان محمود الثاني لطائفة الانكشارية في اسطانبول، وهي السنة نفسها التي ألف فيها ابن العنابي كتابه (السعي المحمود في نظام الجنود) داعيا فيه الى اصلاح الجيش وتجديد الحياة العسكرية والعلمية لدى المسلمين لمواجهة الخطر المحدق بهم. ففي الوقت الذي كان ابن العنابي يدعو الى ضرورة الاصلاح قبل فوات الأوان، كان شيلر يقترح في كتابه على الدول الأوروبية احتلال الجزائر، كاشفا لهم عن عيوب نظامها وضعف قوتها و«قابليتها» للاستعمار. وبدل أن يقرأ حكام الجزائر كتاب ابن العنابي ويترجموا كتاب شيلر «لجّوا في طغيانهم يعمهمون» فلم يدخل (السعي المحمود) الجزائر حتى مخطوطا حسب علمنا قبل 1830[5]، بينما أخذت به القنصلية الفرنسية بالقاهرة علما، وسارع الفرنسيون الى ترجمة كتاب شيلر وتطبيق اقتراحه قبل أن يسبقهم الى ذلك منافسوهم الأنجليز[6].

إن الكتابات الأمريكية اللاحقة التي عالجت تلك المرحلة من العلاقات مع الجزائر لجأت، في غياب الطرف الآخر (الجزائر) الى كيل المدح بالجزاف لابطال أمريكا على الساحل البربري الذين شقوا لبلادهم طريق الدبلوماسية والتجارة وفتحوا أمام أسطولها مضائق جبل طارق وحتى مضائق الدردنيل والبوسفور. فلمعت في كتاباتهم أسماء الدبلوماسيين: جول بارلو **J. Barlow** وجيمس كاثكارت **J. Cathcart** وويليم شيلر. أما أمراء البحر فظهرت أسماء ديكاتور (قاتل الريس حميدو) ووليام بامريدج، واسحاق شونسي، الخ. ولقد تصنّع الكتّاب الأمريكيون الى الوقت الراهن، كما لاحظ ذلك السيد زينق، الاشادة بأبطالهم بشكل فضفاض يجعل معظم كتبهم لا تناسب حتى تلاميذ الثانويات ، اذ أن

عناوينها نفسها توحي بذلك، مثل كتاب دونالد شيدسي D. Chidsey **الحروب في افريقية الشمالية ، القرصنة العربية وميلاد البحرية الأمريكية** (1971)، ومثل كتاب هـ. بارنباي H. Barnby : **مساجين الجزائر: كتاب عن الحرب الأمريكية ـ الجزائرية المنسية 1785 ـ 1797.** (1966).

أما المرحلة الثانية فلا نكاد نعرف تآليف تعبر عن وجهة النظر الأمريكية في تطور التاريخ الجزائري. لقد استمر القناصل الأمريكيون في مراسلاتهم الرسمية، ولا شك أن وثائق وزارة الخارجية الأمريكية مليئة بالملاحظات والمعلومات عن أوضاع الجزائر منذ الاحتلال. ومن القناصل الذين نشروا عن لجزائر بعد احتلالها وليام هودسون، الذي ولع بالخصوص بالأحوال الاجتماعية واللغوية والجغرافية والتاريخية للجزائر. ومن مؤلفاته المنشورة في هذا الصدد: خلاصة القواعد النحوية للغة البربرية، ورحلة الأغواطي، وملاحظات عن شمال افريقية والصحراء والسودان[7]، الخ. وبالإضافة الى هودسون، نلاحظ تردد العديد من السواح الأمريكيين الذين قصدوا الجزائر للإقامة بها فترة من الزمن وتركوا وراءهم انطباعاتهم، مثل جاك كنيدي، الذي ترك كتاباً في أجزاء عن الجزائر وتونس. ويحدثنا جول كامبون، سفير فرنسا بواشنطن بعد أن تولى حكومة الجزائر فترة طويلة، عن إشادة الرئيس الأمريكي تيودور روزفيلت بالمهمة الفرنسية الحضارية في الجزائر وقضاء فرنسا على القرصنة الجزائرية وتخليص أمريكا وأوروبا من الجزية التي كانت مفروضة عليها[8]. أما الرئيس وودرو ويلسون فلا نعرف أنه أجاب الأمير خالد والوفد المرافق له، عن طلبهم تطبيق مبدأ تقرير المصير على الجزائر الذي تضمنته عريضتهم اليه سنة 1919.

أما التأليف التاريخي فقد ظهرت منه بعض الأعمال العامة المركزة على ظهور البحرية الأمريكية على حساب القراصنة المغاربة. ومن بينها غاردنر آلان G. W. Allen (بحريتنا وبحارة افريقية الشمالية) ـ 1905، ثم، أروين Ray W. Irwin عن (العلاقات الأمريكية الدبلوماسية مع دول المغرب العربي 1776 ـ 1816) 1931 وكلها أعمال تظهر تفوق الأسطول الأمريكي على أساطيل دول

المغرب العربي من جهة وصعود النجم الأمريكي على المسرح العالمي ولا سيما عالم البحر الأبيض المتوسط، مركز الثقل في العالم القديم. وعندما رجعت شخصيا الى الحياة الأكاديمية لم أجد في الرسائل الجامعية الأمريكية المقدمة عن الجزائر بين الحربين في ميدان التاريخ سوى رسالتين الأولى بقلم جيمس سوين J. Swain عن (العلاقات الأنجليزية ـ الفرنسية حول الجزائر 1830 ـ 1848)، ط. 1926، والثانية بقلم جوان مكارثي بعنوان (السياسة الفرنسية نحو الأهالي والكنيسة في الجزائر)، ط. سنة 1938 وكلتاهما في حدود 75 صفحة[9].

ومنذ 1942 أخذ الأمريكيون يهتمون أكثر فأكثر بالجزائر والمغرب العربي عموما. فقد نزلت قواتهم العسكرية بلادنا في آخر ذلك العام وبقيت فيها الى ربيع السنة الموالية. وحل بها أيضا الرئيس فرانكلين روزفيلت، وممثله روبيرت مورفي، وانطلقت منذئذ أجهزة المخابرات العسكرية وأجهزة السلك الدبلوماسي وأجهزة البحث الأكاديمي ورجال الصحافة تبحث في تاريخ الجزائر، ولا سيما القريب منه. وإذا حكمنا من المنشورات التي صدرت عن تلك الأجهزة، فإننا لا نجدها تخرج عن وصف النظام الاداري والاقتصادي والتجاري والاجتماعي القائم عندئذ في الجزائر، وقد حاولت الصحافة والمراسلات الدبلوماسية أن تصف أيضا المشاعر الوطنية وحالة «الأهالي» الجزائريين تحت السلطة الاستعمارية. ومنذ البداية أعلن الأمريكيون أنهم لن يحاولوا التأثير على النظام الاستعماري الفرنسي أو المس بوحدة الامبراطورية الفرنسية. وقد ظهرت هذه السياسة في مواقف الدبلوماسيين المتصلين بالحركة الوطنية أيضا. فالسيد روبير مورفي والسيد دوليتل، قنصل أمريكا في تونس، عبرا عن ذلك في اتصالاتهما مع زعماء الحركة الوطنية. ومع ذلك ظهرت تفاسير لمواقف فرحات عباس ومصالي الحاج على أساس أن الأول معتدل يميل الى النظام االغربي بينما الثاني متطرق يميل الى النظام الشيوعي. ولكن الحركة الوطنية كانت ما تزال في نظر أولئك القوم ليست من القوة بحيث تهدد الوجود الفرنسي[10].

ولكن هذا لا يعني أنهم أغفلوا التطور التاريخي للجزائر، فأحداث الثامن مايو 1945، وميلاد الأحزاب بعد 1946، قد تصادفت مع الحرب الباردة التي تولدت

عن الحرب العالمية الثانية. ولذلك اهتم المحللون الأمريكيون بتوجهات الجزائر، وعلاقتها بأحداث الجارتين تونس والمغرب، والجامعة العربية، والمعسكر الاشتراكي. ومن جهة أخرى ظهرت مجلة الشرق الأوسط 1948 التي خصصت قسما لأخبار شمال افريقية. وفيها نشر مانفريد هيلبورن M. Halporn مقالتين احداهما عن أحداث الثامن من ماي والأخرى عن أحدث الكتب الفرنسية عن الجزائر. وكلتاهما تحتوي على نقد مقنّع للسياسة الفرنسية[11]. ولم يهمل الأمريكيون، مع ذلك، تاريخ علاقاتهم البعيدة بأهل شمال افريقية، اذ نشر باحثان (L. W. Wright و J. N. Maclead) كتابا بعنوان (أول الأمريكيين في افريقية الشمالية: كفاح وليام ايتون من أجل سياسة قوية ضد قراصنة افريقية الشمالية، 1799 ـ 1805) ط. 1945.

ومن المعروف أن السياسة الأمركية بعد الحرب العالمية الثانية كانت تقوم على إحلال النفوذ الأمريكي محل النفوذ الاستعماري التقليدي. ويستوي في ذلك الاستعمار الفرنسي والانجليزي الخ. وما دامت موجة الاستعمار التقليدي قد أخذت في الانحسار عن طريق الثورات والكفاح السياسي وهيئة الأمم المتحدة الخ. فإن سياسة الدولار والمساعدة التكنولوجية والمعونة الاقتصادية . بالإضافة الى التدخل العسكري اذا اقتضى الحال. قد حلت محل النفوذ الأوروبي التقليدي. وقد ظهر ذلك أيام الثورة التحريرية اذ قامت أمريكا بتزويد فرنسا بالسلاح والعتاد عن طريق الحلف الأطلسي ومساندتها في الأمم المتحدة. ونحو ذلك.

وبينما السياسة الرسمية تسير في الاتجاه المذكور كانت البحوث والكتابات الصحفية والدراسات تتجه نحو التحضير لما بعد رحيل الفرنسيين عن الجزائر. ومن ضمن ذلك . الاتصال غير الرسمي ببعض قادة الثورة. وفتح مكتب لجبهة التحرير في نيويورك. ومنح الطلبة الجزائريين منحا دراسية. وتشجيع المنظمات الخيرية والدينية على التبرع للاجئين الجزائريين. وقد هز تصريح السناتور جون كنيدي سنة 1957 الكونغرس الأمريكي بدعوته لتغيير سياسة بلاده نحو الجزائر والاعتراف لها بحق تقرير المصير والاستقلال. وظلت الكتابات الصحفية والأعلام عموماً موزعاً. منه ما كان يقف مع فرنسا الصديقة القديمة للجمهورية الأمريكية واعتبارها حامية

الجناح الجنوبي للحلف الأطلسي ضد الشيوعية، ومنه ما كان يقف مع حق الجزائر في الاستقلال والحرية اقتداء بكل الشعوب الأخرى وانسجاماً مع مبدأ الديمقراطية وحقوق الإنسان، دون التخلص طبعاً من الاعجاب بفرنسا ناشرة الحضارة والعدالة والمساواة وصديقة أمريكا التقليدية.

وتطول القائمة لو أننا استعرضنا هنا مختلف الكتابات التي ظهرت في هذه الأثناء (أيام الثورة) بأقلام أمريكية ، ولكن يكفي أن نذكر نموذجا للاتجاهين، الاتجاه الأول يمثله مايكل كلارك في كتابه (الاضطراب في الجزائر)[12] ، الذي عبر عن اتجاه يمكن أن نسميه يمينيا متطرفا بمساندته لاعمال الجيش الفرنسي في الجزائر ووقوفه إلى جانب مطالب الكولون. اما الاتجاه الثاني فتمثله السيدة جوان فلسباي في كتابها (الجزائر تمرد وثورة)[13] ط. 1959 وهو الكتاب الذي حكمت فيه حكما قاسيا على الاستعمار الفرنسي في الجزائر متتبعة مراحله ومنتهية الى أنه إلى زوال، ومنتصرة للثورة الجزائرية. ومن الأكيد أن السيد ريتشارد بريس R. Brace[14] يدخل في الاتجاه الثاني اذ كتب كتابين على الأقل لصالح الثورة الجزائرية وكان على اتصال ببعض رجالها. والغريب أن باستثناء اطروحة قلسباي التي كانت في العلوم السياسية، لا نكاد نجد أطروحة واحدة أمريكية عن الجزائر خلال فترة 1942_1962، سواء في العلوم السياسية أو التاريخ أو غيرهما. ولكن هذا لم يمنع من ظهور بعض الأبحاث التاريخية الرصينة عن الموضوع، مع مناقشة عميقة لمصادر تاريخ الجزائر والتساؤل عن جدوى الاعتماد على النص الفرنسي فقط، ومحاولة اعطاء تفسير جديد لمشاكل تاريخ الجزائر. .

أما المرحلة الرابعة من النظرة الأمريكية نحو الجزائر فقد شهدت تحولا كبيرا في الاهتمام والدراسات . فالجزائر بلد انتزع حريته بالقوة ومن ثمة فهو بلد صعب المراس يحتاج الى طرق مختلفة للترويض. ومن جهة أخرى فالجزائر واسعة الأرجاء وغنية بالموارد الطبيعية التي يسيل لها لعاب رجال الأعمال. وهي بلد ذات عمق كبير في المغرب العربي والعالم العربي وافريقية. وأخيرا فهي في نظرهم أكثر البلاد العربية تغربا في المذاهب والثقافة والنظم بحكم الفترة الاستعمارية الطويلة. وإذا كانت الدراسات غير التاريخية التي تعكس هذا الاهتمام لا تعنينا هنا. رغم كثرتها. فانه يكفينا ان نركز

على الدراسات التاريخية التي انطلقت منذ 1962.

تحتل الجزائر مكانا مرموقا في أقسام التاريخ في الدراسات الافريقية والعربية في الجامعات الأمريكية، بل أن بعض الجامعات اهتمت بتنشيط مراكز بحث متخصصة عن شمال افريقية. وبالإضافة الى التدريس والبحث الأكاديمي توجد المكتبات والترجمات والزيارات والجماعات المتخصصة، ويضاف الى ذلك تدريس اللهجات الشائعة في افريقية الشمالية. أما الجزائر بالذات فقد ظهر عدد من الباحثين المتخصصين في تاريخها مركزين اهتمامهم على الحقبة المعاصرة. ومن الملاحظ أن المؤرخين الأمريكيين قلما اتجهوا إلى دراسة تاريخ الجزائر القديم أو الوسيط.

أما الفترة العثمانية (التي يسميها البعض حديثة) فلم يهتم بها الا عدد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة. ومن بينها كتاب أندرو هيس A. Hess الذي سماه (الحدود المنسية) والذي أعطى فيه تفسيرا جديدا للحدود الحضارية بين الشرق والغرب في الصراع الذي حدث بين الدولتين العثمانية والاسبانية ممثلا في شخصيتين بارزتين في غربي البحر الأبيض، هما: خير الدين بربروس وشارل الخامس. وكانت الجزائر في نظر السيد هيس تمثل الحدود الشرقية لصراع الحضارتين، ولعل كتاب جون وولف (الجزائر تحت الأتراك) الذي قمنا بترجمته[15]، يعتبر ضمن اهتمامات الباحثين الأمريكيين أيضا بالجزائر، رغم ان السيد وولف لا يوضح ذلك، ويذكر أن اختياره للجزائر كان بمحض الصدفة تقريبا. وقد تجلت في كتابه النظرة الغربية عموما، ولكنه جردها الى حد كبير من العاطفة الدينية والاستعمارية، وعوضها بعاطفة القوة والتعالي الحضاري.

بينما حظي العهد الفرنسي بعدة أطروحات أصبح بعضها كتبا تباع في الأسواق، كما نوقشت رسائل تناولت عهد الاستقلال أيضا. وقد أحصينا حوالي عشرين رسالة دكتوراة متخصصة في تاريخ الجزائر منذ 1830. تناول بعها الحركة الوطنية وبعضها نظام القضاء الإسلامي، وبعضها ملكية الأراضي وقوانين انتزاعها واستغلالها بالإضافة الى الاستيطان الأوروبي وسياسة بعض الفرنسيين مثل بوجو وسوستيل، بل أن بعضهم اختص في تاريخ بني ميزاب. ومن ثمة أصبح لامريكا مؤرخوها المختصون في تاريخ الجزائر بمفردها[16]. وهناك أيضا اطروحات نوقشت في

العلوم السياسية لها صلة وطيدة بالتاريخ مثل الحركة المصالية لزاقورا، والنخبة السياسية الجزائرية، لكوانت، والارهاب الثوري الذي يعني به صاحبه السيد (هاتشنسون)، جبهة التحرير الوطني.

ومنذ سنوات قليلة ظهرت مؤسستان تعتنيان بتاريخ المغرب العربي، أولاهما في تونس والثانية في أمريكا. أما مؤسسة تونس فهي (المركز الأمريكي للدراسات المغربية) وأما مؤسسة أمريكا فهي (جماعة الدراسات المغربية). وفي الظاهر فان الأولى ما تزال في مرحلة تأسيس مكتبة عمل واستقبال الباحثين الأمريكيين فيها ومنح المنح لبعض المختصين في البحث عن أحوال المنطقة، وتشجيع الزيارات والندوات، وحضور المؤتمرات المهتمة بتاريخ المنطقة الخ. وأما المؤسسة الثانية فيجتمع أعضاؤها مرة في السنة في احدى الجامعات ويلقون أبحاثهم ويناقشون ما جدّ من المؤلفات والنظريات، ولهم كتابة عامة ومقر. ويقومون بالترشيح للجوائز ونحوها في ميدان الاختصاص. ومعظم كتابات هؤلاء تتسم بالتعاطف مع تاريخ المغرب العربي في مقابل الموقف السلبي الذي وقفه منه مؤرخو الاستعمار الفرنسي وحتى المؤرخون الأمريكيون الأولون. والظاهر أن أصحاب هاتين المؤسستين يهدفون الى اعطاء تفسير جديد لتاريخ المنطقة ينتج عنه ربط علاقات جديدة بين بلادهم وبلدان المغرب العربي. وهذا التفسير بالرغم من أنه يرضي طموحات أهل هذه المنطقة في الغالب الا أنه في النهاية غير محايد كل الحياد.

* * *

والخلاصة هي أن النظرة الأمريكية لتاريخ الجزائر قد مرت بمراحل المرحلة الأولى تميزت بطابع تمجيد المواقف الأمريكية من رفض دفع الجزية وفرض المعاهدة وقوة الأسطول، ووسم حكام الجزائر بالقرصنة والرشوة، وضعف الضمير والتعصب الديني والتخلف الحضاري.

وتميزت المرحلة الثانية باهمال يكاد يكون تاما لتاريخ الجزائر أثناء العهد الاستعماري، مع الاستسلام المطلق للمقولة الفرنسية بأن الجزائر جزء لا يتجزأ من الأراضي الفرنسية. وأما المرحلة الثالثة فقد أخذ فيها الاهتمام بتاريخ الجزائر ينمو

تدريجيا، من نقطة المجال العسكري الى نقطة المجال السياسي والاقتصادي والاستراتيجي، ومع ذلك فقد كان الأمريكيون خلال ذلك على طائفتين: طائفة رسمية تراعى العلاقات الدولية وتحافظ على الصداقة مع فرنسا، وطائفة أخذت تمد يدها نحو المستقبل وتعمل على تمهيد الطريق لاحلال النفوذ الأمريكي في الجزائر محل النفوذ الفرنسي بعد رحيله.

وأخيرا انطلقت الدراسات التاريخية المتخصصة حول الجزائر منذ استقلالها وتدعمت بمراكز البحث والمكتبات والمنح والزيارات والترجمات. ولم تعد هذه الدراسات مقتصرة على التاريخ المعاصر فحسب. بل تناولت أيضا الفترة العثمانية، ولا نعرف أن أحدهم قد تخصص حتى الآن في تاريخ الجزائر قديما أو وسيطا. ولعل ذلك يرجع الى غياب أمريكا عندئذ والى صعوبة البحث كلما توغل الباحث في أعماق التاريخ. ويقيننا أن اهتمام الأمريكيين سيصل الى ذلك العهد أيضا، اذا رأوا الضرورة الى ذلك. فهم، كما يبدو، يوظفون التاريخ في حياتهم اليومية كما يوظفون العلوم الأخرى طبقاً لفلسفتهم البراغماتية. ولا يفعلون فعلنا نحن عندما ندرس التاريخ للشهرة واللذة وحتى للبركة.

الهوامش:

(1) Through Foreign Eyes, Western Attitudes Toward North Africa, Washington, DC., 1982, 196 p.

(2) يعمل حاليا استاذا في جامعة جورجيا. واخر كتاب له صدر هذه السنة (1986) بعنوان: (الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830) الذي أصدرته جامعة أوهايو.

(3) في مكتبة كينتس (جامعة ميتشيغان) مجموعة من الكتب القديمة النادرة في طبعاتها الأولى حول العلاقات الجزائرية ـ الأمريكية مثل (يوميات الأسر والمعاناة لجون فوس J. Foss) و(تاريخ أسر ومعاناة مريا مارتن M. Martin) الخ. الأول مطبوع سنة 1798 والثاني سنة 1911.

(4) أنظر عن ذلك مقالتنا (أثر الجزائر في الأدب الأمريكي) مجلة الثقافة. عدد 86 (مارس ـ أبريل 1985) ص 37ـ69.

(5) قمنا بدراسة هذا الكتاب وحياة ابن العنابي، أنظر ذلك في (ابن العنابي رائد التجديد الإسلامي) ط. 1، 1977. وقد قام الأخ محمد بن عبد الكريم بتحقيق ونشر نص كتاب (السعي المحمود في نظام الجنود)، الجزائر 1981.

(6) ترجم اسماعيل العربي كتاب شيلر الى العربية بعنوان (مذكرات وليام شيلر)، 1982. كما ترجم كتاب لانكارت الآتي بعنوان (مذكرات أسير الداي: كانكارت قنصل أمريكا مع المغرب) الجزائر . د.ت.

(7) أنظر عنه مقالنا المذكور (أثر الجزائر في الأدب الأمريكي) ص 59ـ66.

(8) جول كامبون (حكومة الجزائر العامة)، باريس ـ الجزائر، 1918، أنظر المقدمة. كان كامبون حاكما عاما على الجزائر من 1891 ـ 1897.

(9) أنظر مقالنا (رسائل الدكتوراة الأمريكية عن الجزائر) في مجلة التاريخ، عدد 6، يوليو، 1978.

(10) أنظر كتابنا (الحركة الوطنية الجزائرية) جـ 3، ط. 3، الفصل 7، 8. وكذلك كتابنا (أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر) جـ 2، بحث (موقف أمريكا والجامعة العربية من حوادث 8 مايو 1945).

(11) المقالة الأولى في نفس المصدر (مجلة الشرق الأوسط) أبرل 1948، والثانية في نفس المصدر أبريل 1949.

(12) كان يرأس جريدة (النيويورك تايمز) من شمال وغرب افريقية مدة أربع سنوات وطبع مرتين 1959 ـ 1960.

(13) ترجم هذا الكتاب الى العربية عن الانجليزية. وقد نالت به صاحبته شهادة الدكتوراه في الدبلوماسية والقانون من كلية فلاتشر سنة 1959، وماتت قبل طبع الكتاب.

(14) نشر ريتشارد بريس مع زوجه (عذاب الجزائر وأصوات جزائرية) الأول سنة 1960، والثاني 1965.

(15) ترجمناه بعنوان (الجزائر وأوروبا 1500 ـ 1830)، 525ص.

(16) من المؤرخين المختصين بالجزائر، الان كريستيلو (مختص بالقضاء الاسلامي ونخبة القرن التاسع عشر) كتابه مطبوع، ودونالد هولسنقر (مختص بتاريخ بني ميزاب) في العهد العثماني وأوائل الفرنسي)، مخطوط. وقد أشرنا الى بعض كتب الفهيقوي، ومنهم أيضا جيمس كوك (الذي ألف عن غلاة الاستعمار الفرنسي في القرن الماضي وأوائل القرن الحالي في الجزائر).